

## التشكيل الصوري في شعر مصطفى المهاجر<sup>†</sup>

أ.د. كريم مهدي المسعودي  
جامعة القادسية – كلية الآداب

مريم جبار تومان  
جامعة القادسية – كلية التربية  
الإيميل: mariam.jabar.94@gmail.com

### المخلص

تهتم هذه الدراسة بدراسة التشكيل الصوري في شعر مصطفى المهاجر ، الشاعر العراقي الذي هرب من وطنه بسبب اضطهاد السلطة، كون هذا التشكيل يهيمن على بعض قصائد المهاجر، فيؤسس انساقا يمكن رصدها ووصفها عبر عملية التحليل الموضوعي والفني لقصائد الشاعر اذ نجدها فرصة لندرس تشكيلات المهاجر الصورية(التشبيه والاستعارة) من خلال الخيال والعاطفة ، لكونهما يعدان رافدا مهما من روافد الابداع الذي يحسب للشاعر كما رأينا شعره، المليء بالأحاسيس والانفعالات الصادقة التي أثارت فينا مواطن الدهشة ونحن نلمس تشكيلات الحياة في شعره.

## Formation in the Poetry of Mustafa Al-Muhajir

### ABSTRACT

This study is concerned with the study of morphology in the poetry of Mustafa Al-Muhajir, the Iraqi poet who fled his homeland because of the oppression of power. This composition dominates some of the poems of the Muhajir. He establishes bases that can be monitored and described through the process of objective and artistic analysis through imagination and passion. Because they are considered an important tributary of the tributaries of creativity that counts for the poet as we saw his hair Full of emotions and sincere emotions that rose in us surprising and we touch the formations of life in his poet.

<sup>†</sup> بحث مستحل من رسالة الماجستير الموسومة : شعر مصطفى المهاجر – الرؤية والتشكيل.

## توطئة

تُعد – الصورة الشعرية- من العناصر المهمة والمؤثرة في التشكيل الشعري فهي تعبر عن تجربة القصد لديه باستعماله لمجموعة من المفردات اللغوية من حيث الدلالة والمعنى فضلا عن الإيقاع ، والحقيقة والمجاز، وغير ذلك من وسائل التعبير المتعلقة بتجربة الشاعر وقدراته، وفي القصيدة الواحدة تجتمع مجموعة من صور اللغة التي تعكس طبيعة الترتيب التصاعدي للقصيدة ، وفي هذا الفضاء يشتغل هذا المبحث، ليدرس تشكيلات المهاجر الصورية (التشبيه والاستعارة ) من خلال الخيال والعاطفة ، ومن بعد ذلك جاءت الخاتمة لتحمل في طياتها نتائج البحث ، مع ثبوت المصادر والمراجع وملخص للبحث باللغتين العربية والإنكليزية(0)

## التشكيل الصوري

يعرف كمال ابو ديب بمفهومين للصورة الفنية من حيث التشكيل : الاول قديم يجسد فيه الصور البلاغية من الاستعارة والمجاز، والثاني حديث يجمع فيه نوعين اخرين هما الصورة الذهنية ، والصورة بوصفها رمزا<sup>(1)</sup>

وبهذا يحاول الشاعر انجاح نصه الشعري وابطاله إلى المتلقي، ولعل في قول (كولدرج ) ما نرمي إليه في هذا المجال أن "الشعر من غير المجاز يصبح كتله جامدة لأن الصورة المجازية هي جزء ضروري من الطاقة التي تمد الشاعر بالحياة"<sup>(2)</sup>

ومن الضروري أن نتعرض بالإشارة الى طبيعة العلاقة بين الصورة الشعرية والبلاغة ، وما اشار إليه عز الدين اسماعيل الذي يرى : "ان البلاغة الجديدة ، بلاغة الصورة، تعد اوسع نطاقا وأخصب من مجرد التشبيه أو الاستعارة ، وان افادت منهما ، فليس بين الصورة اذن وبين التشبيه أو الاستعارة جفوة ، فقد يصل التشبيه أو تصل الاستعارة في بعض الاحيان الى درجة الخصب والامتلاء والعمق الى جانب الاصلالة والابتداع حيث تمثل الصورة وتؤدي دورها"<sup>(3)</sup>

فنحاول أن نرسم صورة موجزة لخيال الشاعر(المهاجر) ولا يكون ذلك إلا من خلال القراءة المعمقة لقصائده ، فقد وجدنا في ثنايا قصائده مجموعة من الصور التي انتجها في لحظة شعورية كان بناؤها تلك المشاهد الداخلية والخارجية التي أضفت على القصيدة مشاهد متنوعة وصور مختلفة.

وقد تنوعت تعريفات الخيال وتعددت بشكل كبير ، لكنها متقاربة أو متشابهة من حيث المعنى لدى المحدثين وخاصة عند الغربيين ، ومن أهم تعريفات الخيال هو العملية التي تؤدي الى تكوين مصورات ليس لها وجود بالفعل أو هو القدرة الكامنة على تشكيلها<sup>(4)</sup>، والخيال هو عبارة ملكة يستطيع بها الأدياء ان يؤلفوا صورهم<sup>(5)</sup>، بمعنى أن الخيال عنصر مهم في الابداع وهو القوة ذاتها التي تجعل المبدع يربط بين الأشياء المختلفة وهنا تتجلى براعة الكاتب المبدع الذي يحسن توظيف الخيال في الربط بين الأشياء التي لا توجد صلة بينها كما تبدوا في اعين الناس<sup>(6)</sup>.

وقد استطاع المهاجر بإرساء تجربته الشعرية على أرض الواقع ، وتجلت عنده قوة الخيال الشعري، بصورة شعرية مدهشة إذ استطاع ان يربط الصور البيانية التي سنتعرض اليها بمواقفه وانفعالاته عن طريق تجربته في الحياة.

وخيال الشاعر مرتبط بطبيعة الحال بعواطفه في التعبير عن تجربته ، فكلمة "كانت العاطفة قوية احتاجت إلى خيال قوي يعين عليها ، وضعف إحداها يؤثر في ضعف الآخر ، فإذا كانت العواطف مسرفة مبالغة ذهب الخيال كل مذهب ، وكان وهما"<sup>(7)</sup>.

و العواطف هي كل انفعالات تثير النفس ، سواء كانت فرحا أم حزنا مثل الرضا والحب والانتقام والغضب وغيرها<sup>(8)</sup>، فالانفعالات والمواقف التي يعيشها الشاعر كفيلة بأن تؤثر في المتلقي، "وتقاس عاطفة النص بقدرته على إثارة عاطفة القارئ، وإدامة تلك الإثارة في نفسه أطول مدة ممكنة"<sup>(9)</sup>.

#### أ- التشبيه

يعد التشبيه الوسيلة المفضلة عند أغلب الشعراء قديماً وحديثاً، وقد تعددت تعريفاته وتوسعت ومنها "هو العقد على أنّ أحد الشئيين يسد مسد الآخر في حس أو عقل"<sup>(10)</sup>، إذ يمثل بؤرة الصورة المعتمدة على الخيال كوظيفة جمالية لكونه يقرب الأشياء المتباعدة.

وأول ما يطلنا من صور التشبيه في قصائد المهاجر هو اعتماد أغلب هذه القصائد على الحواس، لأنها مادة التصور، إذ تقرب بين العناصر المتباعدة ولا يحصل ذلك إلا من خلال فكر الشاعر وانفعالاته كما في قوله:

وأظل أدور

كساقية أو ناعور

وأظل أدور

كأنغام فرّت

من وتر مهجور

وأظل..أظل

ويغمرني الديجور<sup>(11)</sup>.

يرسم المهاجر في هذا النص صورة مرتبطة بطبيعة انفعالاته وحالته النفسية لأن "الصورة التشبيهية تتعامل مع الواقع المحسوس بأبعاده، ومع الجوانب الفكرية، ومع أعماق الإحساس النفسي الداخلي"<sup>(12)</sup>.

والتشبيه في النص يصور الحالة النفسية للشاعر و ما يعانيه من ألم وشجون بعيداً عن وطنه، والمشبه به الحسي (الساقية أو الناعور أو الأنغام) وأداة التشبيه (الكاف) وردت ثلاث مرات، فيصور الشاعر ما يعانيه بأشياء جامدة؛ ليوصل للمتلقي ما يعانيه من حرقة وألم ومأساته وحيرة وظلمة يعيشها.

يريد الشاعر تغييراً على مستوى حياته الذاتية والاجتماعية؛ لأنه يرى أنّ لحظات الفرح مسروقة في حياته، فيثير المتلقي في تعبيره، إذ يقول:

وها لحظات الفرح الخاطف تذوب سريعاً

كنيازك فرّت من مجراتها<sup>(13)</sup>.

يستعمل التشبيه المرسل؛ لأنه أراد أن يعبر عمّا في داخله من دون غموض أو إبهام فقد وظف كل أركان التشبيه؛ إذ شبه الشاعر لحظات الفرح في حياته بالنيازك لأنها تمر مسرعة ولا تكون إلا مجرد ذكرى.

وما زال الشاعر يستعمل صورته الفنية معتمداً على تجربته الشعرية التي يمر بها على الرغم من أن صورته أكثر ما تكون بسيطة وواضحة لأنها تتضمن تجسيدا للواقع المباشر الذي يمر به الشاعر ابتداء من غربته ومعاناته كما ذكرنا، فضلاً عن حنينه وشوقه، وكثيراً ما نجد قصائده تندس تحت عباءة الغائب التي يحدد مسار القصيدة.

وقد جاء الشاعر بتشبهين آخرين مؤثرين ، نتيجة خيبات تضج بخيال الشاعر بسبب استمرار الأوضاع واللامبالاة من قبل الظالم ، يعكسان نبض الذات ، يقول:

والصحاب الكثر

كالأمواج ترتجف

وكالصحراء .. كالصحراء

لا ماء

ولا سعف .. (14).

إنَّ الأصدقاء والأحباب والأصحاب كثيرون ولكن مثل موج البحر غير مستقرين قد تجمعهم الأيام وقد تشتتهم كما حصل مع شاعرنا، مستعملاً الشاعر التشبيه المرسل المفصل في رسم صورته ، إذ ذكر المشبه والمشبه به والأداة ووجه الشبه ترجف، والتشبيه الآخر الصحاب الكثر كالصحراء الجرداء التي لا ماء ولا ظل شجر فيها ما جدواها وما نفعها، تشبيه مرسل مجمل ، ذكر المشبه والمشبه به والأداة ولم يذكر وجه الشبه ، فوجه الشبه انعدام الفائدة.

يمنح المهاجر ذاته لتعبير عما يدور من غصة وهم عميق بداخلها ، فيحاول أن يتحرك في واقع الحلم الذي تقرضه إرادة خارج سلطته وسببها وجود (الأخر) المتسلط، فيحاول الشاعر الاندفاع إلى الأمام عن طريق الحلم لعله يتخلص من قيود الواقع :

ما الذي نرجوه ..

أن يأتي ..

فيأتي

واضحا كالشمس

أو طيفاً جميلاً

أو كتهويم شبح؟ (15).

يكشف هذا النص عما يدور بداخل ذات الشاعر وذوات الآخرين ، فتجتمع ذات الشاعر مع ذات الآخرين من أبناء وطنه في تمنى إشراقة الوضع المعبأ بكل المآسي، إذ يقدم صورة تشبيهية تمثل أمنياته وأحلامه التي سيبقى يحلم بها حتى تهزم أيامه ، وجاء بهذه التشبيهات المتتالية ، في قوله (واضحا كالشمس) و(تهويم شبح) إذ أراد بالتشبيهين المجلين وطناً صافياً خالياً من منغصات الحياة ، والخروج من الواقع، المكلل بالعوائق والصعوبات إلى عالم يُشعره بالسعادة والأمل، وإن كان عالماً في الأحلام أو يأتيه كالشبح.

ب- الاستعارة

هي "استعمال اللفظ في غير ما وضع له ؛ لعلاقة المشابهة بين المعنى المنقول عنه والمعنى المستعمل فيه ، مع قرينة صارفة عن إرادة المعنى الأصلي ، والاستعارة ليست إلا تشبيها مختصراً لكتفها أبلغ منه" (16).

فيحاول الشعراء استعمال هذه الصور الاستعارية ومن بينهم شاعرنا (المهاجر) من أجل الضرب على وتر أحاسيس المتلقي ، فيثير شعوره وجدانه؛ لأن النص يجب أن يكون فيه شيء من الغموض فما فائدة النص المفتوح أمام المتلقي إذا لم يجهد نفسه في الوصول إلى معنى المعنى ، وأكثر أنواع الاستعارة المستعملة عند المهاجر التصريحية والمكنية، ولم يخرج فيها عن استعمالات الشعراء السابقين ، فيقدم صوراً استعارية وإن كانت بسيطة لكنها نابضة بالواقع ، فيحاول المهاجر تقديم صوراً استعارية لأنماط متعددة منها غربته وحنينه لواقع وطنه الذي استوطنه الظالم المتسلط ، فأنتج بهذه الصور الشعرية عتمة الظلام النفسي ، لينقل لنا صورة ترسخ حالة العتمة الروحية التي نتجت عن الحكم التسلطي الاستبدادي، إذ يقول:

الريح تبعثر أوراقي

والعمر...تبعثره ..

الأيام

والغربة ...

تطوي أحلامي

تسحقها ..

تنفيها ..

هل تبقى في الغربة

أحلام..؟(17)

جاء المهاجر بصور نفسية ومعاناة روحية يعيشها، مستعملاً الاستعارة التصريحية مرة كما في (الريح تبعثر أوراقي )، والمكنية (العمر تبعثره الأيام)، أي أنه يشبه العمر بشيء قابل للبعثرة ، معتمداً على خياله في توظيف صورة يحاول فيها الشاعر أن ينقل قضية عاشها هو، ولم يجد أفضل من مفردة (الريح) في التعبير عن تشتته ، وضياح سني عمره ، مع تكراره لمفردات أكثر دلالة على التشتت والبعثرة(تسحقها ، تنفيها ، تطوي ، تبعثر) ويستجير باليأس لعدم قدرته على التخلص من هذه الغربة فيتساءل بحسرة وألم (هل تبقى في الغربة أحلام).

ويجنح المهاجر دائماً لتجسيد المعاناة ، معبراً عمّا في داخله من هواجس ، متمرداً على الواقع المرير، المشكل لصراعه مع الحياة والواقع، ولاشك أن قضية الوطن عند المهاجر تعبير لمحنة الذات، لأنه مركز على ما يدور في مجتمعة، والوطن أصبح كل أحلامه وأمنيته المؤجلة، متحسراً على صنع الواقع من دون القدرة على تغييره ، فيحاول أن يثير المهاجر داخل المتلقي خزينا هائلا من الحنين إلى روح الوطن المكبل المقيد حتى بالأحلام والأمنيات، إذ يقول:

دعني أقبل

مسار الدموع

التي عبرت ذات حزن

على وجنتيك

وألقت نخيلات بيتي العتيق

جدائل أجزائها

في يدك

لا شيء أطلبه في ظلام المتية

سوى بسمة الحب في مقلتيك

ولا شيء يحزنني

غير أن تعبر الأمنيات

على شاطئك (18).

احتوى هذا النص على مجموعة من الصور الاستعارية الحزينة والمؤثرة التي تعبر عن خيال الشاعر القلق في هذا النص، بدأ من الاستعارة المكنية في جعل الدموع مسارا كأنها طريق يمر منها الماء نتيجة ألم الفراق والغربة والقلق المستمر ، وصورة مكنية أخرى تمثلت في تشبيهه خيالات العراق بامرأة جميلة ذات جدائل ليعبر عن مدى شوقه لوطنه ، ولا يتمنى لوطنه في غربته غير بسمة الحب إذ شبه الحب بإنسان مبتسم؛ لأن الحب هو من أجمل وأنبل مشاعر الإنسان ، فضلاً عن ذلك أنه استعمل الاستعارة المكنية عندما شخص الأمنيات وكأنها شخص يعبر، وهنا تكمن جمالية الاستعارة عند الشاعر عندما يشخص المجردات بأمر قابلة للحياة فهذا يعني أن التشخيص يجعل الشيء المجرد كأنه حي يتميز بالحركة والحياة(19).

يتجه الشاعر أحيانا لمحاورة الطبيعة ليرسم عليها صور أجزائه وأمه لعلها تعي مكوناته النفسية ، مجسداً من خلالها المعاناة والأوجاع ، وهذا النزوع للطبيعة لم يكن اعتباطاً وإنما لشدة معاناة الشاعر وحيرته فالتمس البدائل للتعبير عن أمه، إذ يقول في قصيدة يصف فيها فصل الصيف :

سيدي

أيها الصيف العراقي

الذي أتعبه الوجد

فنام

تاركا

في أفق الأحلام

نجمات

مواويل

وريشات حمام

أيها الصيف العراقي

الموشى

بأطياب الكلام

خذ لنجمتك

والسمار

خذُ لها

فيضا من الوجد

وشوقا وهيام (20)

فالشاعر هنا يرسم مشهداً حسيماً لمناخ العراق وجمال صيفه، مستعملاً الاستعارة المكنية في النص معتمداً التشخيص مرة، فالصيف مشبه والإنسان مشبه به، أي يشخص فصل الصيف ويتحدث عنه وكأنه إنسان مائل أمامه، أي أنه يؤنس الأشياء و يجعلها ذاتا حية وناطقة يتفاعل معها، وخاصة إن المهاجر يحذف النداء مع (أيها) لأنه أراد تقريب المنادى، فالنداء يمتنع حذفه مع البعد، ومرة أخرى يعتمد التجسيم، إذ جعل الصيف هو الذي يأخذ بالشوق والهيام، أي صور المعنوي المجرد في صورته المحسوس، أي "نسبة صفات البشر إلى أفكار مجردة، أو أشياء لا تتصف بالحياة" (21).

يحاول المهاجر أحيانا أن يغير مسار ذاته ليؤكد قيمة الحياة حين يمنح قصائده بعداً خيالياً، لا يكتفي بالتعبير عن حالة نفسه وواقع أليم، ليعبر عن مناخ آخر مليء بالدلالات، نتيجة ازدياد شعور الشاعر باليأس، واتساع فجوة الهوة بينه وبين الآخر المتسلط، فاتجه إلى التذكير بصنع الخالق وقدرته أمام عجز المخلوق وانعدام قدرته:

نطق الطين بين أصابعها

نسمة من جمال

وينطق الموت والصمت

والكلمات الرتيبة

تصبح شعرا يجلل بالأشعار

شاعت يد الله

أن تصنع الآدميين

وللطين يمنحهم دفأه والجلال

تبارك همس الأصابع

للطين (22)

يعلن الشاعر دهشته من هذا العمل الفني الجميل الذي جسّد الحقيقة التي يعلمها الشاعر وهذا التجسيد نتج من خلال الأصابع التي تحمل نسمة الجمال، فهذا الاطراء على الفنانة التي صنعت من الطين / السيراميك، حيث ابدعت اناملها في خلق لوحة إبداعية، فضلاً عن ذلك استعمل المهاجر لعبة الفنية بدأ من العنوان (سيراميك) في استنطاق الذي لا ينطق، فضلاً عن العنوان فيه إشارة لحظوة الآخر وسطوته في حياته، مستعملاً الاستعارة المكنية في عموم النص إذ شبه الطين بالإنسان وحذفه وأبقى شيئاً من لوازمه وهو النطق ( ينطق الطين بين

أصابعها ) محاولا إمتاع المتلقي وجلب انتباهه وكذلك يمكن أن نحمله على المجاز المرسل بوصفه ما كان أي ان أصل الانسان من طين، كذلك في قوله (الطين ينفخ من روح الله فيه ، وتبارك همس الأصابع ، تبارك هذا الجمال)

فالنص فيه استعارت مكنية أراد بها الشاعر تلييه رغباته، والشاعر حين يلتقط هذه الامنيات المحملة بالأحلام الوافدة ، فذلك يعني أنها علامة فارقة على حالة النفسية يحاول توظيفها بمهارة عالية وهو يلوذ بشيء مفقود ، وهذا المجهول الصامت يبقى عصيا على الفهم، وتبقى العاطفة هي الطريق الوحيد للوصول إلى مدركات الذات المتشوقة للأخر ، وهذه كلها شحنات دلالية انفعالية ، اسهمت في بناء صور النص بطريقة بديعة وخالقة0

### الخاتمة

بعد الفراغ حمده تعالى من دراسة تحليلية أدبية لتشكيل الصورة في شعر المهاجر توصل البحث إلى اهم النتائج:

1. استعمل المهاجر صوراً فنيةً معتمداً على التشبيه والاستعارة ، عبر انتقاء لحظة الحدث ، فيكون الاعتماد فيها على دهشة الصورة وتقنية المشهد النصي للقصيدة.
2. صورته أكثر ما تكون بسيطة وواضحة لأنها تتضمن تجسيدا للواقع المباشر الذي يمر به الشاعر ابتداء من غربته ومعاناته.
3. جاءت صورته التشكيلية ممزوجة بعواطفه وانفعالات، لأنها تعبر عن شعور صادق.
4. صور المهاجر الشعرية أقرب إلى الصورة التقليدية التي وظفها الشعراء قبله.

### المصادر والمراجع

1. الشعر العربي المعاصر قضاياها وظواهره الفنية والمعنوية ، عز الدين اسماعيل ، دار الفكر العربي ، مصر .
2. الشعر كيف نفهمه و نندوقه ، اليزابيث دور ، ترجمة محمد ابراهيم الشوش ، بيروت ، 1961 .
3. النقد الأدبي احمد امين، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر .
4. النقد الادبي الحديث ،محمد غنيمي هلال ،دار الثقافة ، دار العودة ،بيروت، لبنان .
5. بعد فوات الاوان ،مصطفى المهاجر ،كتاب الالكتروني غير مطبوع ،النسخة الأولى ،1435- 2014 .
6. تمتات ، مصطفى المهاجر ، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1991 .
7. ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ، للرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني حققها وعلق عليها محمد خلف الله ، دكتور محمد زغلول سلام ، دار المعارف ، مصر ، ط3 .
8. جدلية الخفاء والتجلي -دراسات بنيوية في الشعر ،كمال ابو ديب ،دار العلم للملايين بيروت ، ط1، 1979 .
9. جماليات الأسلوب -الصورة الفنية في الادب العربي -فايز الداية ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ، ط2، 1996 .
10. جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبيدع ، السيد أحمد الهاشمي ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، ط12 .
11. غائب كالوطن ..حاضر كالبكاء ،مصطفى المهاجر ، 1992 .
12. في النقد الادبي الحديث منطلقات وتطبيقات ، د. فائق مصطفى- د. عبد الرضا علي، دار الكتب للطباعة والنشر ،الموصل ، ط1 ، 1989.
13. في النقد الادبي، د. شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط 9.



14. معجم المصطلحات في اللغة والادب، مجدي وهبة، كامل المهندس، مكتبة لبنان، بيروت، ط8، 1984.
15. وجع الاسئلة الليلية، مصطفى المهاجر، منشورات اتحاد الكتاب العرب، 2000.
16. وحدي، مصطفى المهاجر، المطبعة التعاونية، دمشق، ط1، 1996.

## الهوامش

- 1 ينظر : جدلية الخفاء والتجلي : 19.
- 2 نقلا عن: الشعر كيف نفهمه و نتذوقه : 59.
- 3 الشعر العربي المعاصر : 143.
- 4 ينظر، معجم مصطلحات الأدب: 166.
- 5 ينظر، في النقد الادبي: 167.
- 6 ينظر، في النقد الادبي: 28.
- 7 النقد الادبي: 47.
- 8 ينظر: في النقد الادبي الحديث منطلقات وتطبيقات : 34.
- 9 المصدر نفسه: 34.
- 10 ثلاث رسائل في إعجاز القرآن : 80.
- 11 تمتات: 21.
- 12 جماليات الأسلوب – الصورة الفنية في الادب العربي : 72.
- 13 وجع الاسئلة الليلية : 94.
- 14 تمتات، قصيدة: 40-43.
- 15 وحدي : 19.
- 16 غائب كالوطن حاضر كالبكاء : 12.
- 17 جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبيديع : 303.
- 18 غائب كالوطن حاضر كالبكاء : 15.
- 19 وجع الاسئلة الليلية: 60- 61.
- 20 ينظر: المعجم الادبي: 67.
- 21 بعد فوات الأوان، : 14- 15.
- 22 معجم المصطلحات في اللغة والادب : 102.
- 23 تمتات: 37-38.